من تراب (٤٨٩) صناعة الاحتقان ! (*)
الطريق

لا يكاد يمضى يوم فى مصر المحروسة ، إلا وتُفتعل بالوعى وباللا وعى أسباب للاحتقان الطائفى ، يتغذى على ضيق الصدور وغيبة الوعى وتجذر التصلب والتطرف ، وتلمس أى حدث أو حديث لصناعة الاحتقان وإشعاله إلى حد الاشتباك !

لا يقتنع أحد بأن المسيحية لن تضار إذا أسلم مسيحى أو مسيحية ، ولا بأن الإسلام لن يضار إذا تنصر مسلم أو مسلمة ، ولا يرى أحد أن أعداد كل من المسلمين والمسيحيين هائلة تملأ قارات الدنيا الخمس ، ولن يضير أيا من الدينين أن ينقص واحدا أو أكثر ، هو فى النهاية لا رجاء فيه لدينه الأول مادام قد غيره واستبدله بآخر ، ولا يعى الاحتقان أن قيمة أى دين فيه لا يهزه ولا ينال منه خروج أو انحراف واحد أو أكثر من بنيه .. فخطأ المسلم إن أخطأ مردود إليه لا إلى الإسلام ، وخطأ المسيحى إن أخطأ مردود إليه لا إلى المسيحية .. ومنذ فجر الأديان ، وللآن أخطأ مسيحيون وأخطأ مسلمون ، فعلق بالمخطئ خطؤه ، وانحصر عيبه فيه لا فى الدين .

ووسط هذا الاحتقان الذى يشعله المتصلبون ، جمحت آراء وتصريحات تجاوزت كل الحدود ، وشاع التربص لالتقاط عبارة أو إيماءة أو رأى ، والمسارعة به إلى النيابة العامة وإلى موجات الأثير وشاشات الفضائيات والأرضيات وصفحات الصحف ، وتعددت البلاغات باتهامات صارت

(*) المال ٢٨/ ٩/ ٢٠١٠

محفوظة بازدراء الأديان .. ولم يعد أحد يطيق نقداً ولا رأيا ولا نقاشا .. وتجاوز البعض إلى الدخول فى مناطق محظورة أو مسكوت عنها ، وضاقت الصدور حتى بلغت القلوب الحناجر ، وصار هذا الاحتقان ينذر بشر مستطيرٍ على أمان الوطن ووحدة نسيج شعبه !

من الطبيعى أن يؤمن كل متدين بدينه ، وأن يكون له تحفظه أو تحفظاته على ما سواه .. ولكنها تحفظات عقيدية مردها إلى عقيدة صاحبها ، وحوار الأديان لا يسعى إلى إلغاء العقائد ، فهذا محال ، وإنما إلى بث الفهم والإسماح والتعايش القائم على تفهم أن من حق كل متدين أن يؤمن بدينه وأن يؤدى عبادته وطقوسه ومناسكه ، وأن يلتزم بحدوده ، دون أن يفرض على الآخرين ما يراه ، أو يخرج على النظام العام للمجتمع ، وهذا النظام العام محصلة روافد عديدة منها الأديان ، ويشكل فى النهاية مفهوما عاماً على الجميع احترامه أيًّا كان جنسه أو دينه أو حزبه أو تفكيره .

والخطأ وارد على المسلم وعلى المسيحى ، ولن يتوقف الخطأ أو يقلع الناس عنه .. لأنه جزء من الضعف البشرى ، وهو قدر على الجميع .. حتى قيل فى حديثٍ لرسول الإسلام عليه الصلاة والسلام : « كل ابن آدم خطاء ، وخير الخطائين التوابون» .. ومع أن الإسلام لا يتحرج من نقد بل ومساءلة من عساه يخطئ من بنيه أو شيوخه ، ولذلك وقائع محددة جرت المساءلة عليها فى المؤسسة الأزهرية .. ومع أن الكنيسة المصرية لم تتوقف عن مراجعة ومساءلة من عساه يخطئ من بنيها أو قسيسيها ورهبانها ، إلاّ أن ثقافة الاحتقان شاعت واستشرت حتى عُدّ نقد الخطأ الشخصى مردودا على ديانة صاحبه ، وهذا ضيق نظر خطير.. لا يقره الإسلام ولا تقره المسيحية ..

من أكثر من نصف قرن تفجرت أزمة هائلة تناقلتها الصحف فى مصر بلا أى تحرج .. مع أنها كانت تمس ما قيل إنه سلوكيات خاطئة لشيخين يعملان بالقضاء الشرعى .. ولم تكف الكنيسة المصرية وإن آثرت المعالجة سراً لم تكف عن مساءلة بل ومحاكمة وشلح من عساه يخطئ من بنيها .. ولكن روح الفهم والإسماح قد غابت تماماً مع استشراء الاحتقان وشيوع التربص مقرونا للأسف برغبة فى الصدام !

.. فأين نحن مما سمعته فى الإذاعات الأجنبية ومنها إذاعة الـ BBC ، وقرأته على المواقع من تصريحات لبابا الفاتيكان نشرت فى مايو ٢٠١٠ بأن «الخطيئة داخل الكنيسة أكبر خطر يهددها».. ولم يتحرج بابا الفاتيكان : بنديكتوس السادس عشر ، من إصدار بيان أذيع بالإذاعات والفضائيات ، ونشر بالصحف والمواقع يدعو فيه إلى «الصفح» عن الفضائح المتعلقة باستغلال الأطفال فى الكنيسة الكاثوليكية ، واعداً فى قداس عُقد بحضور حوالى ١٥ ألف كاهن فى ساحة القديس بطرس .. بأن الكنيسة ستبذل كل ما بوسعها «لكى لا تتكرر أبداً التجاوزات الجنسية «بحق الأطفال» من قبل رجال الكنيسة .«وسبق هذا البيان رسالة رعوية كتبها بابا الفاتيكان فى مارس ٢٠١٠ للاعتذار عن جميع الانتهاكات الجنسية التى قام بها رجال الدين الكاثوليك بحق الأطفال ، ونشرت الصحف والمواقع أنباء القضايا الجنائية والتحقيقات التى أجرتها الحكومة الأيرلندية وأثبتت أن المئات من الكهنة قد اعتدوا على الأطفال على مر العقود السابقة ، كما نشرت المواقع والإذاعة البريطانية BBC أنباء الاعتداءات الجنسية على الأطفال فى بلجيكا ، كما نشرت المواقع أنباء أمثال هذه الاعتداءات الجنسية التى حدثت

فى عدة أبرشيات فى سيدنى وسانتا فى دى لافيرا كروز وغيرها بأستراليا ، وفى أبرشية الكاثوليك فى ملبورن ، وأبرشية فيينا بالنمسا ، وأبرشيات فى بلجيكا ، وأخرى بكندا وكرواتيا ونيوزلندا والمكسيك وبولندا والسويد وسلوفينيا والمملكة المتحدة ، وفى أبرشيات بوسطن وشيكاغو ودافنبورت ووديوك وهونولولو وميامى وأوماها وأورانج وفينكس وسان دييجو وغيرها بالولايات المتحدة .. مما دعا بابا الفاتيكان إلى إصدار رسالته الرعوية فى مارس ٢٠١٠ ثم بيانه فى مايو ٢٠١٠ بالاعتذار وطلب الصفح عما لحق بالأطفال من اعتداءات جنسية من رجال الكنيسة الكاثوليك .

ولم يقل قائل ولا متقول إن بابا الفاتيكان قد ازدرى الدين المسيحى بتعرضه الصريح لمشكلة كنسية لم يعد من المقبول السكوت عنها ! ولا قاضى أحد الإذاعة البريطانية BBC أو غيرها من الإذاعات والفضائيات والصحف والمواقع على نشرها أنباء هذه الاعتداءات أو اعتذارات بابا الفاتيكان عنها !

فلماذا انطلقت الحساسيات وصرنا نصنع الاحتقان ونفتعل الأزمات فى بر مصر ؟!!